

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

إِنَّمَا نَشَاهِدُ الْيَوْمَ ظَاهِرَةً اسْتِعْرَاضَ حَيَاةِ أَصْحَابِ الْبَدْحِ وَالتَّرَفِ. وَيَتِمُّ تَشْجِيعُ النَّاسِ بِذَلِكَ عَلَى أَنْ يُكْرَسُوا حَيَاتَهُمْ لِلْعَمَلِ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ، وَمِنْ ثَمَّ أَنْ يَسْتَهْلِكُوا أَكْثَرَ وَيَنْعَمُوا بِحَيَاةِ أَرْفَهُ. وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا غَفْلَةً وَضَلَالًا عَنِ الْعَايَةِ مِنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَعَنْ مُهِمَّةِ الْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا. رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِسَعْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَقَالَ: «مَا هَذَا السَّرْفُ؟» فَقَالَ: أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتُ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ».³ فَعَلَيْنَا مَعَاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ، اتِّبَاعَ نَبِيِّ كَانُ يَنْهَى عَنِ الْإِسْرَافِ فِي الْمَاءِ الْجَارِي؛ أَلَّا نَفْقَدَ الْإِعْتِدَالَ فِي إِنْفَاقِنَا وَاسْتِهْلَاكِنَا.

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

إِنَّ مِنَ الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَبْرُزُ فِيهَا صِدْقُ الْوَاحِدِ مَنَّا فِي إِيْمَانِهِ وَإِخْلَاصِهِ لِرَبِّهِ؛ أَمَاكُنُ السِّيَاحَةِ الَّتِي نَزُورُهَا فِي إِجَارَاتِنَا. وَنَحْنُ يَتْبَعِي عَلَيْنَا أَنْ نَتَّجَنَّبَ التَّبْذِيرَ وَالْإِسْرَافَ فِي أَحْوَالِنَا كُلِّهَا. عَلَيْنَا أَنْ نُرْشِدَ اسْتِهْلَاكِنَا، وَأَنْ نَحْفَظَ مِنْ يَوْمِنَا لِغَدِنَا، خُصُوصًا فِي هَذَا الزَّمَانِ الَّذِي ارْتَدَّتْ فِيهِ الْعَلَاءُ وَالْفَقْرُ وَالْجُوعُ. وَلَنُعْرِفَ قِيَمَةَ النِّعَمِ الَّتِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِهَا، وَلَا نُبْذِرُهَا وَلَا نُسْرِفُ فِيهَا. وَلَنُعْتَنِّمَ أَوْقَاتِنَا وَصِحَّتِنَا. فَإِنَّهُ سَيَأْتِي الْيَوْمَ الَّذِي نُسْأَلُ فِيهِ عَنْهُمَا. وَنَسْأَلُكَ الطَّرِيقَةَ النَّبَوِيَّةَ فِي الْإِسْتِهْلَاكِ، مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا تَبْذِيرٍ. فَإِنَّ الْإِسْتِهْلَاكَ مَتَى خَرَجَ عَنِ الْإِعْتِدَالِ، ذَهَبَتْ الْبِرْكَةُ، وَفَقَدَ النَّاسُ سَلَامَتَهُمْ، وَكَانَ فِيهِ إِضْرَارٌ بِالْأَجْيَالِ الْقَادِمَةِ. وَلَنُعَلِّمَ أَنَّ النِّعَمَ مَحْصُورَةٌ، وَأَمَّا الرَّغْبَاتُ وَالشَّهَوَاتُ، فَلَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى.

أَسْأَلُ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ شَكَرُوا نِعْمَةَ فَرَادَهُمْ، وَأَنْ يَحْفَظَنَا مِنْ كُفْرَانِهَا. إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ. آمِينَ!



لَقَدْ أَصْبَحَ الْإِسْتِهْلَاكُ وَالْبَدْحُ فِي عَصْرِنَا هَذَا مَظْهَرًا مِنْ مَظَاهِرِ الْمَكَانَةِ الْأَجْتِمَاعِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ. وَسَاعَدَتْ وَصَائِلُ التَّوَاصُلِ الْأَجْتِمَاعِيَّةِ عَلَى تَبْرِيرِ هَذَا النَّمَطِ الْعَجِيبِ مِنَ الْحَيَاةِ. حَتَّى أَصْبَحَ مَنْطِقُهُمُ الْقَائِلُ: "أَكْسِبُ بِنَفْسِي وَأُنْفِقُ كَمَا أَشَاءُ" يَجُزُّ النَّاسَ إِلَى الْإِسْرَافِ فِي الْإِسْتِهْلَاكِ وَإِلَى التَّبْذِيرِ، وَيَجْعَلُهُمْ عَدِيمِي الْمَسْئُولِيَّةِ. وَقَدْ أَشَارَتْ الْإِحْصَائِيَّاتُ إِلَى أَنَّ مِقْدَارَ التَّلْتِ مِنْ جَمِيعِ الْمُنْتَجَاتِ الْعِدَانِيَّةِ فِي الْعَالَمِ، يَتِمُّ إِسْرَافُهَا سَنَوِيًّا. وَذَلِكَ يُسَاوِي مَا يَقْرُبُ مِنْ 3،1 (وَاحِدٍ، فَاصِلَةً، ثَلَاثَةً) مِلْيَارًا طِنًا، مِنْ الْغَدَاءِ. فَيَسْرِافُ أَوْ رَبًّا وَأَمْرِيكَ فَقَطُّ، كَافٍ لِسَدِّ حَاجَةِ سُكَّانِ الْعَالَمِ كُلِّهِمْ، بَلْ وَلِثَلَاثَةِ أضعافِهِمْ أَيْضًا.

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

الْإِفْرَاطُ فِي الْإِسْتِهْلَاكِ يَعْنِي؛ الْإِفْرَاطُ فِي اسْتِعْمَالِ آيَةِ نِعْمَةٍ أَوْ إِمْكَانِيَّةٍ بِلَا تَوَازُنٍ. وَذَلِكَ يَشْمَلُ اسْتِهْلَاكَ كُلِّ أَنْوَاعِ النِّعَمِ، مِنْ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَاللَّبْسِ، إِلَى اسْتِحْدَامِ وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ وَالْوَقْتِ وَالصِّحَّةِ. وَنِعْمَةُ الْوَقْتِ خُصُوصًا، مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ الَّتِي تَهْدِرُ فِي يَوْمِنَا هَذَا. فَقَدْ ارْتَفَعَ مُعَدَّلُ الْوَقْتِ الَّذِي يُمَضِيهِ الْفَرْدُ عَلَى الْإِنْتِرَاقِ يَوْمِيًّا إِلَى 6 (سِتِّ) سَاعَاتٍ. وَإِنَّ الْإِنْتِشَالَ بِسَفَاسِفِ الْأُمُورِ عَنِ الْمَهَامِ وَالْمَسْئُولِيَّاتِ يُعْتَبَرُ كَذَلِكَ إِسْرَافًا. فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَخَّرَ لَنَا جَمِيعَ النِّعَمِ، لِنَسْتَعْمِلَهَا فِي نَيْلِ مَرْضَاتِهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾¹.

وَلَا نَنْسَى أَنَّ طَرِيقَةَ إِنْفَاقِنَا وَاسْتِهْلَاكِنَا تُحَدِّدُ شَخْصِيَّتِنَا. يَقُولُ الْإِمَامُ الْعَزَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "الْإِمْسَاكُ حَيْثُ يَجِبُ الْبَدْلُ بِلْحْنٍ، وَالْبَدْلُ حَيْثُ يَجِبُ الْإِمْسَاكُ تَبْذِيرٌ، وَيَبْتَهَمَا وَسَطٌ وَهُوَ السَّخَاءُ وَالْجُودُ."² وَالْإِسْرَافُ فِي الْحَقِيقَةِ؛ ابْتِعَادٌ عَنِ الْعَايَةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا خُلِقْنَا. الْإِسْرَافُ؛ إِسَاءَةٌ لِلْأَدَبِ مَعَ رَبِّ النِّعَمِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،